اخراج الارادة القومية عن المشروعية الدولية المستجدة في المنطقة لان أية موافقة عربية تضفي بالضرورة الشرعية على أية تسوية محتملة .

ظل هذا الحوار داخل الاطار القومي قائما الى أن جاءت مصر وسوريا تعطي مصداقية كاملة لالتزامها المعركة وسيلة لاسترجاع الحقوق القومية . ولم يكن هناك شك مطلقا في اذهان الناس على ان اهداف المعركة التي خاضتها مصر وسوريا كانت محدودة بحيث انها أرادت ايجاد تعديل في المعادلات العسكرية التي من شأنها تعجيل استجابة اسرائيل لبندي الانسحاب والحقوق الفلسطينية كما وردت في قرار مجلس الامن ٢٤٢ . ان هذه الحدود المعلنة لاهداف المعركة من جانب مصر وسوريا جعلتهما وكأن المعركة التي تخوضانها انما هي من أجل فرض مشروعية دولية ارادت اسرائيل نقضها وتجاوزها وتحديها . الا ان اتفاق الدولتين الكبيرتين جاء دليلا على ان الولايات المتحدة رضخت نتيجة ظروفها الداخلية — خاصة بعد تفاقم الازمة الدستورية وفضائح واترغيت — واحتمالات ضغوط النفط العربية والتهديد الحقيقي لصيغة الانفراج السوفياتي — الاميركي وكون اسرائيل خارجة عن المفهوم الدولي للمشروعية الى المنطق السوفياتي الذي هو بدوره محدود الهدف في المرحلة الراهنة ، يبقى ان الاسابيع القليلة القادمة ستكون حافلة بكيفية تبيان معالم صحة التقييم السوفياتي — العربي النظامي . ان ابقاء الهدف القومي داخل اطار المشروعية — او بالاحرى المقبولية — الدولية وارد بالنسبة لاسرائيل الصهيونية ام ان العرب سيدخلون في متاهة المسالمة دون انجاز ما توقعوه من « سلام عادل » .

ان الاتحاد السوفياتي الذي اثبت صدق التزاماته للدول العربية في المعركة من خلال المساعدات المادية والعسكرية التي قدمها بدون توقف لعرب المعركة يراهن اليوم على استعداد الولايات المتحدة للتجاوب مع الاهداف الدولية التي تتجسد في تنفيذ البنود — خاصة فيما يتعلق بالانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة — الواردة في قرار مجلس الامن . وهذه المراهنة السوفياتية على احتمال تجاوب اميركي هو بنظر الاتحاد السوفياتي محصلة النزيف الداخلي الذي يعانيه نيكسون وعملية الاستنزاف الناجحة التي قامت بها مصر وسوريا ضد القوة العسكرية الاسرائيلية .

من أجل هذا فان قرار وقف اطلاق النار الذي جاء بمبادرة العملاقين لا يمكن ان يشكل مفاجأة بالنسبة للملتزمين العرب وللمقاومين الفلسطينيين وان جاء القرار صدمة لطموحاتهم القتالية وكون مناخ المعركة البطولية التي عيشتنا اياها الجيوش العربية — خاصة المصرية والسورية — الى جانب قوات الثورة الفلسطينية أتاح للملتزمين والثوار فرص تنشيط تنظيماتهم ومؤسساتهم والاعداد لتوسيع رقعة عملياتهم العسكرية والسياسية خاصة في فلسطين المحتلة . الا انه من الضروري الاقرار ان الصدمة لا تكون عميقة الاثر عندما لا تجيء مفاجئة . لعل الوجه الايجابي والمشرق في الاسبوعين الاخيرين ان الذين خاضوا وقادوا المعارك العربية لم يعطوا الجماهير أية آمال مغلوطة بل كانوا منذ اللحظة الاولى مصرين على كون الهدف القومي المرحلي هو التطابق مع المشروعية الدولية والعمل على اجبار المحور الاميركي — الاسرائيلي على الرضوخ لهذا الهدف .

صحيح ان تذوق العرب طعم المعركة دفع بهم الى تناسي الهدف الذي من اجله خاض عرب المعركة المعركة . وبدا العرب أثناء القتال وكأن خيار وقف اطلاق النار قد اسقط من حساباتهم وأصبحوا مشدودين للمعركة ولمواصلتها . لقد رأوا بأم أعينهم كيف ان أشد المحافظين ينجرون الى اطار المعركة بدافع الحس القومي العفوي وكيف ان اوضح المترددين تمسهم المعركة فيحسمون لصالحها وكأن ارتباطاتهم السابقة ودوافع ترددهم